يقبل الفعل عما هو أسبق منه وجودا ويؤديه إلى ما بعده فهو منفعل لما فوقه وفاعل لما دونه وهو منفعل بالحقيقة فاعل بالمجاز والإضافة فيكون مبدأ الأفعال من فاعل لا ينفعل كغيره البتة ومنتهاها إلى منفعل لا يفعل البتة وما بينهما فاعل فيما دونه منفعل لما فوقه .

ولما ذكرناه في هذا الباب قالت الحكماء إن البارئ تعالى مع كل شيء .

وإنما أرادوا بذلك وجود آثار صنعته في الموجودات وسريان الوحدة منه التي بها تكونت المحدثات ولم يريدوا بذلك أنه يحل الأمكنة ويقع تحت الأزمنة المحدثات أو يلتبس بشيء من العالم تقدس عن ذلك وعلا علوا كبيرا .

وقد غلط قوم من الفلاسفة في هذا الموضع غلطا فاحشا فزعموا أن البارئ تعالى عن قولهم سيالة في العالم ولهذا قال ثالس